وجهة نظر

دولة عربية فى فلسطين .. أم أغنية جديدة لفيروز..؟!

أحمد طلعت

الرأى العام العربى ، لم يتفق على شىء بقدر اتفاقه على قضية فلسطين ..

فتحرير الارض ، واستعادة الحقوق المشروعة ، هدف لا خلاف عليه .

لكن هذا الاتفاق فى الهدف ، تقابله على الجانب الاخر اجتهادات متعددة حول الوسيلة والاسلوب .

البعض يرى أن القضية كل لا يتجزأ ، فلا صلح ولا مهادنة ولا أنصاف حلول .. ويضرب هذا الفريق مثالا بالثورة الجزائرية ، التى لم تلق السلاح الا بعد أن تحقق النصر كاملا وشاملا .

والبعض الاخر يقبل بالممكن تحينا لتفاعلات سياسية ودولية تزيد من حجم هذا الممكن وتقترب به من الهدف النهائى .

وللانصاف ، فان كلا الرأيين ينطلقان من منطلق وطنى، ويتطلعان الى ذات الهدف ، لولا اننا - فى العالم العربى - تعودنا ان نتسرع بتبادل تهم الخيانة والعمالة ، كلما اختلف بنا الرأى وتباينت منا الاجتهادات .. !!

على ان اخطر ما فى الامر ، هو اننا بكلا الاتجاهين ، نتحرك فى مواجهة عدو له رأى واحد ، ويسير فى اتجاه واحد مخطط بعناية ، وطبع للتكيف مع كل الظروف .

ولو اخذنا وعد بلفور كنقطة بداية ، وتتبعنا معا مسلك العرب والصهيونية ، منذ ذلك التاريخ ، لوجدنا اننا فى واد وعدونا فى واد آخر .. !!

الصهيونية سارت بخطى وئيدة ، ولكن على طريق واحد . ونحن عدونا وقفزنا من قمم مختلفة ، الى أودية مختلفة ايضا ، ولكنها مظلمة وسحيقة ..

ماذا فعلت الصهيونية .. ؟ تحالفت أولا مع جيش الاحتلال البريطانى فى فلسطين ، الى حد تشكيل الفيلق اليهودى للمشاركة فى حرب المحور ، ومن خلال هذا التعاون زادت الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وبنيت المستعمرات تحت سمع الانتداب البريطانى وبصره .. ثم انقلب الفيلق اليهودى وبقية العصابات الصهيونية الى حرب الانتداب البريطانى والمطالبة باستقلال فلسطين وجلاء الانجليز عنها .

ثم استخدمت الصهيونية كل أساليب الضغط الممكنة ، والمتاحة، مع الولايات المتحدة الامريكية ، حتى صدر عن الامم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين .

وكانت حرب عام ٤٨ ، ثم عدوان ٥٦ ، الى ان ابتلعت اسرائيل كل أرض فلسطين وأجزاء من أراضى ثلاث دول عربية اخرى فى حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ..

أما الدول العربية ، فكانت كل واحدة منها - الى ماقبل قرار تقسيم فلسطين - مشغولة اما بمشاكلها الداخلية ، واما بكفاحها من أجل الاستقلال ..

ثم كانت حرب فلسطين عام ٤٨، وما تلاها من الحروب - قبل حرب اكتوبر - هزيمة للعرب واضافة الى مكاسب الصيهونية .. وفقدنا « الكل » بعد ان كان فى امكاننا الاحتفاظ بالبعض ..

حتى مياه نهر الاردن ، التى رفضنا اقتسامها ، واضعنا وقتنا فى مشروعات لتحويلها ، فى حماية ماأسميناه بالقيادة العربية الموحدة حتى هذه المياه ضاعت كل قطرة منها بعد ان ضاع النهر نفسه وبكته فيروز فى أغنيتها الشهيرة .. !!

وفى ظنى ان المؤتمر الوطنى الفلسطينى - فى اجتماعاته الاخيرة بالقاهرة - قد انقسم به الرأى أيضا ، فقال البعض بحكومة فى المنفى تمهيدا للسيادة على الاراضى المحررة ، بينما ذهب البعض الاخر الى القول بالرفض والانتظار حتى يجىء الوقت لتحرير الارض .. كامل الارض .

وفى ظنى أيضا أن الفريق الاول قد دافع عن رأيه ، وفى يده الحجج التالية :

- ان اعلان حكومة فى المنفى سوف يعقبه مباشرة اعتراف اكثر من ثلاثة ارباع دول العالم بهذه الحكومة ، مما يضفى على الكفاح الفلسطينى الشرعية الدولية .
- ان انتقال حكومة المنفى الى الاراضى المحررة سوف يلم شمل عشرات الآلاف من الفلسطينيين ،الذين تعرضوا لمحاولات التصفية - ولا زالوا - فى الاردن ولبنان وغيرها .. مما يحقق لهم فرصة للامن والتقاط الانفاس .
- ان وجود الارض ، والشعب ، والحكومة ، سوف يوفر ارضية اصلب للكفاح الفلسطينى ، مسلحا كان أو سياسيا .
- ان شعوبا اخرى قد قبلت بالجزء ، فى انتظار ظروف افضل تمكنها من الحصول على الكل ، ومن ابرز الامثلة على ذلك فيتنام الشمالية التى تمكنت - بالرغم من مواجهتها الضارية مع الولايات المتحدة الامريكية - ان تحقق النصر ، وان توحد الارض لكن على خطوات .
- ان الاقتداء بالجزائر غير منطقى ، لان الشعب الجزائرى كان يمارس كفاحه من فوق ارضه وبقيادة جبهة التحرير ، بينما بقيت حكومة المنفى هى الواجهة السياسية .. !!
- ان القول بأن اسرائيل لن تقبل بقيام الدولة الفلسطينية الا باشتراط ان تكون منزوعة السلاح ، وبأن تعترف مقدما بوجود اسرائيل ، القول بذلك لا يشكل خطرا على الكفاح الفلسطينى .
- ان الدول العربية - والبترولية منها على وجه الخصوص - سوف تجد ان دعمها يذهب الى كيان محدد ، مما يشجعها على زيادة الدعم ، وزيادة السخاء ، خصوصا وان الشعب الفلسطينى لا تنقصه الكفاءات ، لا بالنسبة للمثقفين ، ولا بالنسبة للمقاتلين .

وفى ظنى ان اصحاب الرأى الاخر لن تقنعهم هذه الحجج ، وان تهم العمالة والخيانة سوف يتقاذفها كلا الفريقين ، أثناء المؤتمر الوطنى وبعده .. ولسنين طويلة قادمة ..

ولسوف يتساءل الكثيرون من العرب ، على امتداد الوطن العربى كله ، هل تقوم دولة عربية على جزء من أرض فلسطين ، ام ان فيروز سوف تنشد اغنية جديدة تبكى فيها كل ماضاع .. ؟!

ولا يملك عربى مخلص الا ان يضع يده على قلبه ، وان يدعو الله - لكلا الفريقين - بالحكمة والرشاد ! □□